STRUCTURAL PATTERNS IN THE CONSTRUCTION OF THE QURANIC SCENE.
A READING IN THE PURPOSES OF SHARIA

Basim Rashid ZOBAA¹

Osama Hamdan Abdullah RAHIM²

Istanbul / Türkiye

p. 656-669

Received: 24/11/2021

Accepted: 09/12/2021

Published: 01/01/2022

This article has been scanned I
iThenticate No plagiarism
detected

Abstract:

The Holy Qur'an is the Book of God Almighty, and He described it: Glory be to Him, with several descriptions, and He told about it that it is a book that needs contemplation that leads you to the goal of the intended verses, and you think about the verses, rather the wall, to come up with a conception of it. The event, rather, depicts it from its different angles, and that is the camera in the Holy Qur'an, as it paints for us a vivid scene that pulsates with life in which all the meanings of life are dialogues and embodiment of what is not in a body, a chemical substance or a physical space. The place is separate from the time, but the study of the scene is fragmented, with a metaphor here or a metaphor there, this kills the scene and takes it out of its beauty.

For this reason, the choice was made to study the scene in the Holy Qur'an, in order to clarify the beauty of the Holy Qur'an that is not limited to the verbal only, but comes out in the word to what is embodied: reasonable and metaphysical.

This research is based on an introduction in which I talked about the scene in language and terminology, then she added to talk about the role of some linguists in approximating the term scene.

As for the requirements of the research, the first of them is devoted to the study of material examples, as the importance of the material aspect in nature in general is mentioned in it, and this is supported by texts from the Noble Qur'an.

As for the second, it was to study the moral examples, so I talked about the abstract morals, which are the perceptions of the mind, which do not possess tangible or tangible entities, and I included them with some examples of what was mentioned in the Holy Qur'an as well.

As for the third, it was to study the unseen examples, in which I dealt with talking about the unseen, which is everything that is absent from man, corroborating that with what was mentioned in the Holy Qur'an.

Finally, I say: This is a humble work in its chapter whose goal is to serve the word of God Almighty.

Key words: Construction, Research, Study.

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.15.45>

¹ Prof. Dr. , AL- Iraqia University, Iraq, b866198@gmail.com

² Dr. , Sunni Endowment Diwan, Iraq

الأنساق التركيبية في بناء المشهد القرآني قراءة في مقاصد الشريعة قراءة في مقاصد الاختيار

باسم رشيد زوبع³

أسامة حمدان عبد الله رحيم⁴

الملخص:

إن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وصفه سبحانه بأوصاف عدة، وأخبر عنه بأنه كتاب يحتاج إلى تدبر يوصلك إلى غاية المراد من الآيات، وتفكر يحيط بالآيات بل السور للخروج بتصور عنه، فلكل سورة محور تدور حوله، وهدف تركز عليه، وهذا حال المشهد والصورة الفنية فأنهما لا يجزئان الحدث بل يصوران من زواياه المختلفة، وتلك هي آلة التصوير في القرآن الكريم فإنها ترسم لنا مشهداً حياً ينبض بالحياة فيه كل معاني الحياة من محاورات وتجسيد لما هو ليس بجسد أو مادة كيميائية أو حيز فيزيائي، فالكامرة القرآنية تسمو بك لتجعلك متصوراً لأشياء التي هي خارج إطار المكان ومنفصلة عن الزمان؛ أما دراسة المشهد مجزء، ببيان استعارة هنا أو مجاز هناك فهذا يقتل المشهد ويخرجه من جماليته.

ولهذا كان الاختيار على دراسة المشهد في القرآن الكريم، لبيان ما في القرآن الكريم من جمال لا يقتصر على اللفظ فقط، بل يخرج باللفظ إلى ما هو مجسد ومعقول وغبي.

ويقوم هذا البحث على تمهيد تحدثنا فيه على المشهد لغة، واصطلاحاً، ثم أردفنا الحديث عن دور بعض علماء اللغة في تقريب مصطلح المشهد.

أما مطالب البحث، فقد أفردنا الأول منها لدراسة الأمثلة المادية، إذ ذكرنا فيه أهمية الجانب المادي في الطبيعة عموماً داعمين ذلك بنصوص من القرآن الكريم.

أما الثاني، فكان لدراسة الأمثلة المعنوية، فتحدثنا عن المعنويات المجردة التي هي كونها مدركات بالعقل والتي لا تمتلك كيانات ملموسة أو محسوسة وأردفناها ببعض الأمثلة مما ورد في القرآن الكريم أيضاً.

أما الثالث، فكان لدراسة الأمثلة الغيبية، فتناولنا فيه الكلام عن الغيب والذي هو كل ما غاب عن الإنسان معضدين ذلك بما ورد منه في القرآن الكريم.

وأخيراً نقول: هذا عمل متواضع في باب غايته خدمة كلام الله تعالى، فإن كان قاصراً فمن نفسينا والشيطان، وإن كان تاماً فبتوفيق منه سبحانه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الأنساق التركيبية.

³ أ. د. ، الجامعة العراقية/ كلية الآداب، العراق، b866198@gmail.com

⁴ د. ، ديوان الوقف السني

المقدمة:

إن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وصفه سبحانه بأوصاف عدة، وأخبر عنه بأنه كتاب يحتاج إلى تدبر يوصلك إلى غاية المراد من الآيات، وتفكر يحيط بالآيات بل السور للخروج بتصوير عنه، فلكل سورة محور تدور حوله، وهدف تركز عليه، وهذا حال المشهد والصورة الفنية، فإنهما لا يجزئان الحدث بل يصوران من زوايا مختلفة، وتلك هي آلة التصوير في القرآن الكريم فإنها ترسم لنا مشهداً حياً ينبض بالحياة، فيه كل معاني الحياة من محاورات وتجسيدات لما هو ليس بجسد أو مادة كيميائية أو حيز فيزيائي، فالكامرة القرآنية تسمو بك لتجعلك متصوراً لأشياء هي خارج إطار المكان ومنفصلة عن الزمان؛ أما دراسة المشهد مجزء، ببيان استعارة هنا أو مجاز هناك فهذا يقتل المشهد ويخرجه من جماليته.

ولهذا كان الاختيار على دراسة المشهد في القرآن الكريم، لبيان ما في القرآن الكريم من جمال لا يقتصر على اللفظ فقط بل يخرج باللفظ إلى ما هو مجسد ومعقول وغبي.

ويقوم هذا البحث على تمهيد تحدثت فيه على المشهد لغة، واصطلاحاً، ثم أردفت الحديث عن دور بعض علماء اللغة في تقريب مصطلح المشهد.

وقسمت البحث إلى ثلاثة مباحث تبعاً لمتطلباته، فقد أفردت الأول منها لدراسة الأمثلة المادية. أما الثاني، فكان لدراسة الأمثلة المعنوية. والثالث، فكان لدراسة الأمثلة الغيبية.

وأخيراً أقول: هذا عمل متواضع في باب غايته خدمة كلام الله تعالى، فإن كان قاصراً فمن نفسي والشيطان، وإن كان تاماً فبتوفيق منه سبحانه.

المشهد:

لغة:

الشَّيْنُ وَالْهَاءُ وَالذَّالُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأَصُولُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مُحَضَّرُ النَّاسِ⁽ⁱ⁾، والمُشَاهَدَةُ: الْمُعَانِيَةُ. وَشَهِدَهُ شَهِوداً أَيْ حَضَرَهُ، فَهُوَ شَاهِدٌ. وَقَوْمٌ شُهُودٌ أَيْ حُضُورٌ⁽ⁱⁱ⁾، وَ الْمُشَاهَدَةُ الْإِذْرَاكُ بِإِخْدَى الْحَوَاسِ⁽ⁱⁱⁱ⁾.

اصطلاحاً:

هو إخراج مدلول اللفظ من دائرة المعنى الذهني المجرد إلى الصورة المحسوسة المتخيلة، والحادث المحسوس، والمشهد المنظور، والنموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالمشهد الذي يصوره فيمنحه الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة.

فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية^(iv).

دور علماء اللغة في تقريب مصطلح المشهد القرآني :

لقد التفت علماء البلاغة واللغة القدماء إلى ظاهرة المشهد والصورة الفنية وإن لم يسموها باصطلاحنا المعاصر، وقد أشار في ذلك سيبويه (ت: 180هـ) إلى هذه الظاهرة وسمّاها الاتساع أو التوسع، وفسرها بأنها انعكاس لسعة كلام العرب^(v). ولا شك أن المشهد وما يدور بداخله من تشخيص الجمادات وإطلاق عليها ما يطلق على الإنسان العاقل ما هو إلا توسع في اللغة وخروج عن مقتضى الظاهر.

وأشار أبو عبيدة إلى هذه الظاهرة الأدبية وسماها: (مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات، على لفظ خبر الإنسان)^(vi). أما الجاحظ (ت: 255هـ) فقد ذكر المجاز وعده مفخرة كلام العرب وبأشباهه اتسعت اللغة^(vii).

وتحدث ابن المعتز عن هذه الظاهرة بشيء من الوضوح عند حديثه عن شعر امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع المموم لبيتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل^(viii)

هذا كله من الاستعارات؛ لأن الليل لا صلب له ولا عجز^(ix)، وكان ابن المعتز يريد أن يقول إن امرأ القيس قد خلع على الليل صفات الكائن الحي فجعله مثله، مما بان للسامع وكأنه مشهد فني فيه كل سمات المشهد من حوار وصورة فنية، ولكن لا يمكن أن نلزم ابن المعتز بمصطلحات عصرنا فلعل عصر لغة.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) فقد تناول موضوع الصورة الفنية، ويعد أدق من وقع على معنى المشهد وما يدور فيه من تشخيص وتجسيد وتخيل ومحاور، إذ يقول: فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية... وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود زوحانية لا تنالها إلا الظنون^(x).

ويلق الجرجاني على قول لبّيد:

وغداة ربح قد كَشَفْتُ وَفَرَّةً إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مُشار إليه يمكن أن تُجرى اليد عليه، كإجراء الأسد والسيف على الرجل في قولك انبَرى لي أسدٌ يَزِيْرُ، وسللت سيفاً على العدو لا يُفْلُ... وليس لك شيء من ذلك في بيت لبّيد، بل ليس أكثر من أن تُخَيَّل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها، كالمدرّ المصْرِف لما زمامه بيده، ومقادئُهُ في كَفِّهِ، وذلك كله لا يتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس، من غير أن يكون هناك شيء يُحَسُّ، وذاتٌ تتحصَّل، ولا سبيل لك أن تقول: كَتَّى باليد عن كذا، وأراد باليد هذا الشيء، أو جَعَلَ الشيءَ الفُلانيّ يداً كما تقول: كَتَّى بالأسد عن زيد، وعَتَّى به زيداً، وجعل زيداً أسداً، وإنما غايته التي لا مُطْلَع وراءها أن تقول: أراد أن يُثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرف الإنسان في الشيء يقبُّه، فاستعار لها اليد حتى يبالغ في تحقيق الشبه، وحُكْمُ الزمام في استعاراته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال، إذ ليس هناك مشاّر إليه يكون الزمام كناية عنه، ولكنه وفي المبالغة شَرَطُها من الطرفين، فجعل على الغداة زماماً، ليكون أتم في إثباتها مصرفةً، كأن جعل للشمال يداً، ليكون أبلغ في تصييرها مُصْرِفةً^(xi).

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نقول: إن علماءنا تنبهوا إلى هذه الخاصية الأسلوبية وأحسوا بوجودها وعرفوا مفهومها دون لفظها، وبذلك يقول الأستاذ سيد قطب (رحمة الله عليه) معتذراً عن عبد القاهر الجرجاني ممن فهم المشهد والصورة الفنية فلم ينطق بها، إذ يقول: (هذا هو الذي وقف دونه عبد القاهر وإن كان يبدو أنه كان يحسه في ضميره، ولا يصوره كاملاً في تعبيره، وليس لنا على أية حال أن نطالبه بالتعبير في لغة عصرنا الأخير.. يرحمه الله)^(xii).

المطلب الأول

النسق التركيبي للمشاهد الملموسة

يعد الجانب المادي من الطبيعة عموماً من أبرز مظاهرها المحسوسة التي تشكل حيزاً وجودياً ملموساً، فضلاً عن كون الطبيعة المادية أكثر التصاقاً بحياة الإنسان وغيره من الكائنات الحية، وبما أن الصورة الفنية والمشاهد وما يدور فيهما من تخيل وتجسيد يقوم على التسامي بالأشياء إلى مرتبة الإنسان باستعارة صفاته ومشاعره^(xiii).

المثال الأول:

{ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }

[سورة هود: آية 44]

منح المشهد القرآني بما فيه من تشخيص وتجسيد الأرض والسماء بعداً إنسانياً، فقد خصهما الله تعالى بالخطاب، ووجه إليهما النداء من بين سائر المخلوقات، ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابْلُغِي مَاءَكَ وَأَقْلِعِي من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء يميزون قد عرفوا عظمتهم وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تختم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته^(xiv)، فكان الخطاب إلى الأرض وإلى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلغ الأرض، وتكف السماء^(xv)، ومجيء الفعل بصيغة الفعل المبني للمجهول يوحي بسرعة الأمر وإن الموقف لا يحتمل تريت وإمهال، وانظر إلى جمالية المشهد في قوله تعالى: { وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي } أي انشقي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله، للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي^(xvi).

المثال الثاني:

{ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [سورة الأحزاب: آية 72]

إن بداية الآية أو مشهد العرض يوحي بتجسيم الأمانة حملاً ثقیلاً وعبئاً كبيراً يزرح تحت وطأته من يكلف بحمله ما استدعى بروز صفات إنسانية معنوية شعورية في هذه الجمادات التي انبرت تدفع عن نفسها هذا الحمل الثقيل...؛ أما في قوله تعالى: { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ } فهو المشهد المقابل وهو مغاير تماماً للمشهد الأول، ببساطة التركيب قد تترجم السهولة والتوافق في تقبل الأمر دون تفكير في العواقب { إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }^(xvii).

إن هذا المشهد، فيه إيقاع يكشف عن جسامه العبء الملقى على عاتق البشرية، وعلى عاتق الجماعة المسلمة بصفة خاصة وهي التي تنهض وحدها بعبء هذه الأمانة الكبرى. أمانة العقيدة والاستقامة عليها والدعوة والصبر على تكاليفها، والشرعية والقيام على تنفيذها في أنفسهم وفي الأرض من حولهم^(xviii)، وإن هذا المشهد يصور لنا أن الكون كله أشفق على نفسه من تحمل الأمانة، وهذا يعني أن الأمانة سوف تكون عرضة للتصرف والاختيار، ولا كائن في الكون قد ضمن لنفسه القدرة على الوفاء وقت الأداء.

لقد أعلنت الكائنات قولها فأبين تحمّل الأمانة وكأنها قالت: إِنَّا يَا رَبَّنَا نريد أن نكون مسخرين مقهورين لا اختيار لنا؛ ولذلك نجد الكون كله يؤدي مهمته كما أرادها الله تعالى، ما عدا الإنسان، أي أنه الذي قبل بما له من عقل وتفكير أن يتحمل أمانة الاختيار، وبلسان حاله أو بلسان مقاله قال: إني قادر على تحمل الأمانة؛ لأنني أستطيع الاختيار بين البدائل^(xix).

المثال الثالث:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [سورة فصلت: آية 39]

فخشوع الأرض هنا هو سكونها قبل نزول الماء عليها. فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وكأنما هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة. ذلك أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية سياق خشوع وعبادة وتسبيح، فجاء بالأرض في هذا المشهد، شخصاً من شخوص المشهد، تشارك فيه بالشعور المناسب وبالحركة المناسبة^(xx)، ويحتوي النص على مشهدين أو صورتين: صورة ترسم لحظة جمود وسكون خارجي أخفت داخلها انفعالاً نفسياً أو حركة متأججة ساخنة داخلياً ما تلبث أن تكشف القناع عن حركة قوية مباغتة، تنتظم فيما بعد، والمشهد الثاني ينقل صورة حركية ديناميكية تنمو نمواً تدريجياً؛ لتبلغ حركة النص منتهاها، ثم يستقر المشهد عند تلك الحركة الناتجة عن ملازمة الماء للأرض المتعطشة، وإروائه لها بشكل دوري متكرر تؤكد الصيغ الفعلية المستخدمة في السياق الدالة على الحدوث والتكرار^(xxi).

المطلب الثاني

النسق التركيبي للمشاهد العقلية

المعنويات المجردة هي المدركات بالعقل، التي لا تملك كيانياً مادياً ملموساً أو محسوساً، لكنها تعد الوجه الآخر للوجود، ومكملات للمادية الحسية، وعلى الرغم من أنها تفتقر لوجود فيزيائي، إلا أنها تمتلك حضوراً واسعاً في الفكر والتصور، فهي الحاضر الغائب، حاضر في أذهاننا وتفكيرنا، وغائب أمام حواسنا^(xxii).

المثال الأول:

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ بُرُوحُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَبْأَعُنُهُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة الحديد: آية 12]

والمشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد- بين المشاهد القرآنية- وهو من المشاهد التي يهيئها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قوياً. فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهداً عجباً. هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم. ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً. ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم. فهذه الشخص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها.

إنه النور الذي أخرجها الله تعالى إليه وبه من الظلمات. والذي أشرق في أرواحها فغلب على طينتها^(xxiii).

المثال الثاني:

{وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} [سورة يس: آية 37]

سلخ جلد الشاة: إذا كسّطه عنها وأزاله... فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله^(xxiv)، وأشار أبو هلال العسكري إلى معنى السلخ في هذه الآية، وهو أن الليل والنهار ليسا على الحقيقة شيئين يسلك أحدهما من الآخر، إلا أنهما في رأى العين كأنهما ذلك، والسلخ يكون في الشيء الملتحم ببعضه بعض، فلما كانت هوداي الصبح عند طلوعه كالملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ؛ فكان أفصح من قوله: يخرج؛ لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم فيهما من الإخراج^(xxv)، ويعبر الأستاذ سيد قطب (رحمة الله عليه) عن هذا المعنى بأجمل تعبير إذ يقول: والتعبير القرآني عن هذه الظاهرة- في هذا الموضع- تعبير فريد. فهو يصور النهار متلبساً بالليل ثم ينزع الله تعالى النهار من الليل فإذا هم مظلّمون. ولعلنا ندرك شيئاً من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته.

فالأرض الكروية في دورتها حول نفسها في مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس فإذا هذه النقطة نهار حتى إذا دارت الأرض وانزوت تلك النقطة عن الشمس، انسلك منها النهار ولفها الظلام- وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام وكأنما نور النهار ينزع أو يسلك فيحل محله الظلام. فهو تعبير مصور للحقيقة الكونية أدق تصوير^(xxvi).

المثال الثالث:

{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18)} [سورة التكوين:

الآيات 15 الى 18]

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ أي الكواكب الرواجع من حَسَسَ إذا تأخر، وهي ماعدا النيرين من الدَّراري الخمسة وهي بهرام وُحُلْ وُعْطَارْدُ والزُّهْرَةُ والمَشْتَرَى وُصِفَتْ بقوله تعالى: الْجَوَارِ الْكُنَّسِ، الجوار الكنس لأنها تجرّ مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفي تحت ضوء الشمس فخنّوسها رجوعها وكنّوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كنس الوحش إذا دخل كُنَّاسُهُ وهو البيئ الذي يتخذ من

أغصانِ الشجرِ وقيل هي جميعُ الكواكبِ تَحْنُسُ بالنهار فتغيّبُ عن العُيونِ وتكنسُ بالليل أي تطلعُ في أماكنها كاللوحش في كُنُسها، والليل إذا عَسَسَ أي أدبَرَ ظلامه، والصبح إذا تَنَفَّسَ لأنه أوّلُ النهارِ وقيل إدبأه أقربُ من تنفسِ الصبحِ ومعناه أنَّ الصبحَ إذا أقبلَ يقبلُ بإقباله رُوحٌ ونسيمٌ فجعلَ ذلكَ نفساً له مجازاً فقيلَ تَنَفَّسَ الصبحُ^(xxvii)، وانظر إلى فتح الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات إذ يقول: والخنس الجوار الكنس.. هي الكواكب التي تَحْنُسُ أي ترجع في دورتها الفلكية وتجري وتختفي. والتعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الطباء. وهي تجري وتختبئ في كناسها وترجع من ناحية أخرى. فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيقة الأنيق عن هذه الكواكب، وهناك إحياء شعوري بالجمال في حركتها، في اختفائها وفي ظهورها، في تواربها وفي سفورها، في جريها وفي عودتها، يقابله إحياء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه.

«وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ» أي إذا أظلم. ولكن اللفظ فيه تلك الإحياءات كذلك. فلفظ عسَس مؤلف من مقطعين: عس. عس. وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إحياء عجيب واختيار للتعبير رائع، ومثله: «وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ».. بل هو أظهر حيوية، وأشد إحياء. والصبح حي يتنفس. أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي. وأكد أجزم أن اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المفتوح أنه بالفعل يتنفس! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المفتوح.

وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ».. ثروة شعورية وتعبيرية. فوق ما يشير إليه من حقائق كونية. ثروة جميلة بديعة رشيقة تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر.

يلوح بهذه المشاهد الكونية التي يخلع عليها الحياة ويصل روح الإنسان بأرواحها من خلال التعبير الحي الجميل عنها لتسكب في روح الإنسان أسرارها، وتشي لها بالقدرة التي وراءها^(xxviii).

المثال الرابع:

{إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [سورة الإنسان الآية:10]

{يَوْمًا عَبُوسًا} {قَمْطَرِيرًا} وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه^(xxix)، ونجد كلمة العبوس قد استعملت أدق استعمال؛ لبيان نظرة الكافرين إلى ذلك اليوم، فإنهم يجدونه عابسا مكفهرًا، وما أشد اسوداد اليوم، يفقد فيه المرء الأمل والرجاء، وكلمة قَمْطَرِيرًا بتقل طائها مشعرة بتقل هذا اليوم^(xxx).

إن الخوف الشديد الذي يعتمل القلوب من هول ذلك اليوم، والإحساس الداخلي بخطورة الموقف في الزمن القادم جعل الإحساس بالزمن وتحديدًا (اليوم) المجهول كمًا وكيفًا يتبدل ويتحول من ظاهرة مدركة عقلياً وشعورياً إلى شيء مرئي متجسم ومتشخص، فغدا للزمن كينونة أخرى حين تجرد من زمنيته وخرج عن كونه مجرد وعاء يحتوي الوجود ويحيط بالأحداث وعداداً فارغاً يحسب الأعمار، عمر الأرض والإنسان ليصبح فاعلاً للأحداث^(xxxi).

المطلب الثالث

النسق التركيبي لمشاهد المآلات الغيبية

الْعَيْبُ: كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ. ففي قوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْعَيْبِ؛ أي يُؤْمِنُونَ بِمَا غَابَ عَنْهُمْ، مِمَّا أَخْبَرَهُم بِهِ النَّبِيُّ (□) مِنْ أَمْرِ الْبُعْثِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وكلُّ مَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَنْبَأَهُمْ بِهِ، فَهُوَ عَيْبٌ... والعَيْبُ أيضاً مَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ، وَإِنْ كَانَ مُحْصَلاً فِي الْقُلُوبِ. ويُقال: سَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ وَرَاءِ الْعَيْبِ أَي مِنْ مَوْضِعٍ لَا أَرَاهُ^(xxxii).

المثال الأول:

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [سورة الملك الاياتان: 7-8]

المنكر الفطيع بالشهيق وهي تَفُورُ تغلى بهم غليان المرحل بما فيه. وجعلت كالمغتظة عليهم لشدة غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميز غيظاً ويتقصف غضباً، وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه^(xxxiii)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (□) الشَّهِيقُ لِحَنَّتِهِمْ عِنْدَ الْقَاءِ الْكُفَّارِ فِيهَا، تَشْهَقُ إِلَيْهِمْ شَهَقَةً الْبُعْلَةِ لِلشَّعِيرِ، ثُمَّ تَزْفُرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ^(xxxiv)، كلام ابن عباس (□) يوحى بالتجسيد والتشخيص لجهنم من خلال تشبيهه إياها بالبعلة التي عندما تزفر لا يبقى أحد إلا وخافها، ويمكن أن نقول: إن جهنم غدت وحشاً كاسراً هائجاً يترقب اللحظة التي يخلو فيها إلى من يلقون إليه فينتقم منهم انتقام من طال انتظاره؛ ليأخذ بثأر قديم كي يشفي غليله^(xxxv).

المثال الثاني:

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَعْثَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [سورة العنكبوت: الآية: 53]

فالعذاب هو العقوبة والجزاء السيء الذي يلاقيه أهل النار، وهو معنوي في الأصل، غيبي مشخص مجسد وكأنه وحش يأتي فجأة في مشهد رهيب من مشاهد العذاب التي يحلها الله تعالى في أهل العتو والكفر.

المثال الثالث:

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [سورة يس: الآية 65]

وهكذا يخذل بعضهم بعضاً، وتشهد عليهم جوارحهم، وتتفكك شخصيتهم مرقاً واحداً يكذب بعضها بعضاً. وتعود كل جارحة إلى ربها مفردة، ويثوب كل عضو إلى بارئه مستسلماً. إنه مشهد عجيب رهيب تذهل من تصوره القلوب! كذلك انتهى المشهد وألسنتهم معقودة وأيديهم تتكلم، وأرجلهم تشهد، على غير ما كانوا يعهدون من أمرهم وعلى غير ما كانوا ينتظرون. ولو شاء الله لفعل بهم غير ذلك، ولأجرى عليهم من البلاء ما يريد^(xxxvi).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم نستخلص الآتي:

1. يجب أن يدرس القرآن دراسة محورية شاملة لا متجزئة كل آية على حدة.
2. إن موضوع المشهد القرآني لا يزال في أول طريقه ويحتاج من يشمر عن ساعده وينجوز غماره بعد أن فتح له المجال الأستاذ سيد قطب (رحمه الله تعالى) ومهد له الطريق.

المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471 هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د. ط، د. ت.
- البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (ت: 296 هـ)، دار الجيل، ط1، 1410 هـ - 1990 م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385 هـ)، دار الشروق، ط17، د. ت.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982 هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.
- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418 هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710 هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.
- جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كزناك صالح رشيد، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011 م.
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1424 هـ.
- ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1425 هـ - 2004 م.
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395 هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، 1419 هـ.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992 م.
- علم النفس العام، جمال حسين الألوسي، وزارة التعليم العالي، بغداد، 1988 م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385 هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط17، 1412 هـ.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3 - 1407 هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711 هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: 209 هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، طبعة 1381 هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول - تركيا، ط1، 1410 هـ - 1989 م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ)، نخضة مصر - القاهرة، 2005م.
موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم، د. أحمد حمد محسن الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2017م.

- i أممعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م: 221/3.
- ii لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ: 338/3.
- iii المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول - تركيا، ط1، 1410هـ - 1989م: 497/1.
- iv التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق، ط17، د. ت: 36.
- v ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988م: 53/1.
- vi عجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: 209هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، طبعة 1381 هـ: 10/1.
- vii الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1424 هـ: 1/227.
- viii ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1425هـ - 2004م: 15.
- ix البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: 296هـ)، دار الجيل، ط1، 1410هـ - 1990م: 81/1.
- x أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د. ت: 43.
- xi أسرار البلاغة: 45-46
- xii التصوير الفني في القرآن: 33-34
- xiii ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م: 260-262.
- xiv الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ: 397/2.
- xv في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط17، 1412 هـ: 4/1879.
- xvi تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت: 211/4.
- xvii جماليات التشخيص في التعبير القرآني، كرنك صالح رشيد، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011: 56.
- xviii في ظلال القرآن: 5/2821.
- xix تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م): 2/1226.
- xx في ظلال القرآن: 5/3125.
- xxi جماليات التشخيص في التعبير القرآني: 76.
- xxii علم النفس العام، جمال حسين الألوسي، وزارة التعليم العالي، بغداد، 1988م: 207.
- xxiii في ظلال القرآن:
- xxiv الكشف: 4/16.
- xxv الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، 1419هـ: 273. وينظر: موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم، د. أحمد حمد محسن الجبوري، منشورات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 2017م: 328.
- xxvi في ظلال القرآن: 5/2968.
- xxvii تفسير أبي السعود: 9/117-118.
- xxviii في ظلال القرآن: 6/3841-3842.
- xxix تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م: 3/578.
- xxx من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ)، نخبة مصر - القاهرة، 2005م: 52.

xxxix جماليات التشخيص في التعبير القرآني: 148.

xxxix لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ: مادة

(غ، ي، ب)

xxxix الكشاف: 4 / 577.

xxxix الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م: 18 / 211.

xxxv جماليات التشخيص في التعبير القرآني: 162.

xxxvi في ظلال القرآن: 5 / 2973.